NMA
for
Contemporary
Research

النظام السوري يبحث عن مخرج

من ورطة درعا

آب – أغسطس / 2021

أصبح من الواضح أن النظام السوري اختار التصعيد في درعا بناء على توافق مع حليفه الإيراني فقط، أما الحليف الآخر. أي الروسي، ليس راضيا عن هذا التصعيد، بل ويذهب بعض المحللين إلى تفسير الحدث على أنه محاولة لتحجيم الدور الروسي وإرسال رسالة إلى روسيا وإلى من يعول على دورها أن القضية ليست كما تتصورون.

يستطيع المراقب بسهولة أن يلاحظ أن النظام السوري بدأ يتخبط وجن جنونه منذ لقاء القمة الذي جمع الرئيسين الروسي «فلاديمير بوتين» والأمريكي «جو بايدن». في جنيف في 16 يونيو/حزيران. فهو على ما يبدو لم يطلع على ما جرى بين الرئيسين بخصوص الشأن السوري، وأن الشكوك بدأت تراوده، وعلى إثر ذلك؛ بدأ يتفنن باختلاق الأزمات.

قد يستغرب البعض مقولة إن النظام السوري يتعامل مع الحلفاء بطريقة تشبه تعامله مع الشعب السوري، فالشعب السوري مساحة من الحرية في أن ينتقد الحكومة أو الوزراء أو بعض الفساد المنشر في البلد، ولكن بشرط أن يبرئ المسؤول الحقيقي عن هذا الفساد وهو رأس النظام. أي، الرئيس جيد لكن من حوله فاسدين. كذلك الأمر بالنسبة للحلفاء، فلهم ثمن خدماتهم مع جزيل الشكر، ولهم بعض النفوذ الذي يرضي غرورهم، ولكن، كل شيء إلا الاقتراب من مناقشة مستقبل النظام ورأسه خارج الرؤية التي يقدمها هو. أي، هو في النهاية وبطريقة مبطنة يقول لهؤلاء: لستم سوى مرتزقة تعملون لحسابي ومن أجل مصالحكم.

رغم أن هذا الكلام لن يروق للبعض إلا أنه الحقيقة، والأدلة عليه كثيرة، ويمكن ملاحظتها من خلال امتعاض الصحافة الروسية في أكثر من مرة من سلوك النظام السوري ورميه بسهام النقد الحاد، ولعل ما أطلقه الشبيح «خالد العبود» من تحذير للرئيس الروسي من غضب بشار الأسد، وتأكيده أنه لا فضل لروسيا وبوتين على سوريا ولا على الرئيس الأسد، وأن بإمكان الأسد أن يغضب من بوتين. معتبراً أن استعمال روسيا للفيتو أكثر من 10 مرات في مجلس الأمن لم يكن دفاعاً عن سوريّا، وإنّما هو دفاع عن مصالح روسيا في سوريّا والمنطقة. خير تعبير عن عقلية النظام السوري.

يعتمد النظام في هذه المراقبة على رصيد هائل من الخسة والنذالة لا يدانيه أحد سوى حلفاءه، فهو يعتقد أن روسيا مجبرة أن تساير رغباته لأنها لا تمتلك البديل، فانقلابها عليه سوف يشكل سابقة تاريخية تسيء إلى سمعة روسيا بشكل كبير، وهو سلوك غير متوقع لغرابته. أما انسحابها من سوريا والتخلي عن النظام السوري فهو تصرف أحمق لا يمكن أن يصدر عن قيادة سياسية، إذ يعني في النهاية أن روسيا تخلت عن كل مكاسبها في سوريا بالمجان، وهو أمر مستحيل. رغم ذلك، يمكن القول إن مقاربات النظام السوري أصبحت تفتقد إلى الحكمة، فالمأزق الذي هو فيه يدفعه إلى مزيد من الحماقات والتصرفات غير محسوبة العواقب، فروسيا رغم نقاط الضعف التي تم التطرق إليها، إلا أنها تبقى دولة عظمى ولديها الكثير من البدائل للتعامل مع جموح النظام السوري، ووقوفها موقف المتفرج حيال ما يحصل في درعا أحد هذه البدائل التي بإمكانها أن تجعل النظام السوري يعود إلى رشده، ويبدو أنه قد عاد.

بالأمس تناقلت وسائل الإعلام تصريح لرامي الشاعر مستشار الإدارات الروسية للوطن العربي جاء فيه: أود أن أطمئن الجميع بأنه وعلى الرغم من الاحتكاك العسكري الذي جرى خلال اليومين الماضيين، وتسبب في وقوع بعض الضحايا من الطرفين، إلا أن الوضع الآن قد أصبح تحت السيطرة بالكامل، ولن تدور أي عمليات قتالية في درعا بعد اليوم. لن تسمح روسيا ومجموعة أستانا والمجتمع الدولي بذلك. أعتقد أن القيادة في دمشق قد أصبحت تدرك ذلك، ولم يعد لديها خيار سوى اللجوء إلى الوسطاء بغية التوصل إلى اتفاق يرضي كافة الأطراف لحل القضايا المتنازع عليها.

على أرض الواقع، يبدو أن الأزمة التي اختلقها النظام السوري في درعا آيلة إلى الانحسار، وهو الآن يبحث عن مخرج يستطيع من خلاله أن يدعي أنه حقق انتصارا في درعا، فالنظام يستطيع أن يتحمل خسارة آلاف المقاتلين، لكنه لا يستطيع بأي شكل من الأشكال أن يتحمل أن يظهر أمام جمهوره بمظهر من تمرغ أنفه بالتراب. لذلك، يبقى السؤال: كم سيتمكن الروس من الضغط على ثوار درعا لدفعهم إلى تقديم بعض التنازلات التي قد تساعد النظام السوري على حفظ ماء وجهه.

«مركز نما للأبحاث المعاصرة»

مؤسسة بحثية مستقلة غير ربحية تُعنى بتقديم الدراسات والأبحاث السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول القضية السورية، لإسناد صناع القرار والمجتمع بالمعلومات والتحليلات العلمية المساهمة في اتخاذ القرارات العقلانية، وزيادة الوعي وتحقيق التنمية السياسية للوصول إلى تمكين المجتمع.

تأسس المركز في أيلول 2019 في الشمال السوري كمؤسسة ريادة في تقديم الدراسات والأبحاث المعمقة لصناعة سياسات أكثر فاعلية من خلال استجلاب المعلومة الصحيحة وإخضاعها لعملية تحليلية علمية للوصول إلى النتائج المنطقية التي يمكن الاستناد إليها في عملية صناعة القرار الرشيد.

تاريخ النشر: آب-أغسطس/2021

الموقع الإلكتروني
nmaresearch.com

البريد الإلكتروني
info@nmaresearch.com

جميع الحقوق محفوظة © مركز نما للأبحاث المعاصرة